

مقاربات الاحتلال الفرنسي في التعاطي مع الثورة الجزائرية الحرب النفسية أنموذجا (1954-1962)

Approaches to the French Occupation in Dealing with the Algerian Revolution: the Psychological Warfare Model 1954-1962

د. جمال قندل
أستاذ محاضر (i)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشلف
d.kendel@univhb-chlef.dz

ملخص

تتوخى الدراسة تقديم قراءة تفكيكية وتحليلية لأنموذج الحرب النفسية، التي اعتمدت من طرف الإدارة العسكرية الفرنسية، لتطويق و خنق الثورة الجزائرية، خاصة بعد أن امتد نطاقها واتسع مجالها، الأمر الذي أقلق المسؤولين الفرنسيين على اختلاف مستوياتهم، و دفعهم دفعا باتجاه التنويع في المقاربات، بين العسكرية و النفسية، في إطار التكامل، من أجل تحقيق الهدف الرئيس الذي أعلن عنه غداة تفجير الثورة، و الذي تمثل في القضاء على الثورة في ظرف وجيز.

إن النجاح الجزئي الذي حققته إدارة الاحتلال الفرنسي في المغرب الأقصى عمّق الرغبة في تسريع وتيرة العمل بالحرب النفسية، من خلال توفير الإمكانيات اللازمة لتطويق الثورة الجزائرية.

الكلمات الدالة: الثورة الجزائرية، الخيار أو المقاربة العسكرية، الحرب النفسية، تطور الثورة، آليات الحرب النفسية، المكتب الخامس، الفصائل الإدارية المتخصصة .

Abstract

The study, through a detailed and analytical reading of the model of psychological warfare adopted by the French military administration to contain and stifle the Algerian revolution, especially after it extended horizontally and vertically, has alarmed French officials at all levels and pushed them towards diversifying the approaches between Military and psychological desire to fulfill the promises they have been making since the bombing of the revolution, and perhaps the depth of the desire to accelerate the pace of psychological warfare, is the existence of successful experiences, especially in Morocco Far, which hastened to provide the necessary means in order to exterminating the Algerian revolution.

Keywords: The Algerian revolution, the Choice or the Military Approach, the Psychological war, the Evolution of the Revolution, the Mechanisms of Psychological warfare, the Fifth office, (SAS) Specialized Administrative Section.

مقدمة

التحرير. حيث اعتبرت أن العدد الموجود في الجزائر غير كاف ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحقق حلم العسكريين ويجسد طموحاتهم في تعميق وتجذير الاستيطان الفرنسي في الجزائر.

ولهذا الغرض، ارتفع العدد من 85000 عسكري في نهاية 1954 إلى 100000 عسكري خلال شهر جوان من سنة 1955 و 186000 في فيفري⁽¹⁾ 1956 ليصل العدد إلى 400000 عسكري في نهاية سنة⁽²⁾ وهو ما أغاضهم وجعلهم يقفون موقف الحائر على قصور إدراكهم وفشل تأكيداتهم المستمرة في إمكانية القضاء على الثورة في فترة قصيرة ووجيزة، بفعل الغرور الكبير الذي طبع ردود فعلهم، الأمر الذي دفعهم بقوة باتجاه التفكير الجدي والفاعل للتقليل من خسائرهم البشرية والمادية.

إن كثيرا من التقارير العسكرية الاستعمارية، لم تسلك منحى الهروب إلى الأمام، كما أنها لم تغض الطرف عن اتساع عمق الجرح، وهو ما عكسته المعطيات والإحصائيات والحقائق الكاشفة لمستوى النضج والتطور النوعي الذي بلغته الثورة⁽³⁾، ونسوق في هذا الشأن، تقريرا عسكريا غاية في الأهمية، للجنرال بارلانج مؤرخ في الخامس من شهر مارس ألف وتسعمائة وستة وخمسين، ضمنه تحليلا عاما للوضع. حيث ذكر أن الوضع بهذه الجهة - يقصد الجهة الشرقية - وخاصة ابتداء من الخامس عشر فيفري، سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين طبعته الخصائص التالية:

1- التعزيز والتنظيم الجيد "للعصابات المسلحة".

2- تهديم كل ما يرمز للوجود الاستعماري.

3- تركيز التهديد بشكل أساس على المراكز الحضرية.

4- تكثيف الضغط الممارس من طرف الثوار في المجالين السياسي والبيكولوجي.

5- خيانة العديد من المنتخبين والقياد للإدارة الفرنسية.

6- ارتفاع نسبة الفرار من الجيش الفرنسي والالتحاق بالثورة⁽⁴⁾. حيث ارتفع عدد الفارين بشكل محسوس بأوراس النمامشة، من سبعة عشر حالة فرار، خلال شهر ديسمبر من سنة ألف وتسعمائة وخمسة وخمسين إلى ثمانية عشر حالة في شهر جانفي وخمسة وستين حالة في شهر فيفري من سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين⁽⁵⁾ وللإشارة، فإنه إلى غاية بداية سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين سجلت نحو ثلاثين حالة فرار شهريا⁽⁶⁾. وفي نهاية السنة ذاتها، ارتفع العدد ليصل ثمانية وسبعين حالة⁽⁷⁾.

وقد أبدى الجنرال بارلانج Parllange تخوفه الكبير من استمرار الوضع على تلك الحال. وفي هذا الصدد تجب الإشارة إلى أنه أكد الحقيقة الصعبة للوضع من خلال التقرير الذي أعده على نحو شامل ومفصل. حيث ألح على وجوب اعتماد و تطبيق ذات الطرق والأساليب التي تم اعتمادها في المغرب

تهدف هذه الدراسة، إلى الوقوف عند حقيقة، أبعاد، ومدى تأثير المقاربة النفسية التي تشكل بعدا رئيسا من أبعاد الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية، التي اعتمدها الاحتلال في مواجهته للثورة الجزائرية، من خلال التركيز على ثلاثة محاور رئيسية، تشكل مجتمعة الهدف الأساس من الحرب النفسية، والتي تتحدد وفق الآتي: الشعب، جبهة التحرير الوطني، وجيش التحرير الوطني. غير أن الركن الأكثر أهمية في العملية، هو الشعب، باعتباره محور ومدار العملية الثورية، ومن ثم فإن نجاح أو فشل الحرب النفسية، ينطلق من مستوى تأثير الشعب بها، وتداعيات ذلك على ميادين مختلفة، تشكل مجال حراك الثورة في الداخل والخارج على حد سواء.

وقبل ولوج الموضوع من حيث بحث جزئياته، تجب الإشارة، إلى أن مرور أربعة أشهر عن تفجير الثورة، كانت كافية كي تجنح القيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر، إلى اعتماد معطى آخر في سياق المواجهة الدموية مع مجاهدي جيش التحرير الوطني، رغبة في شل سير وحركة الثورة، حتى تغدو أكثر بظا وأقل فاعلية، من حيث القدرة على التحريك الشعبي وتطوير الأداء العملياتي لعناصر الثورة، بقطع النظر عن طبيعته، خاصة وأن قوات الاحتلال الفرنسي، أصيبت في مقتل بدا أكثر وضوحا في الانكسار الذي نزل بها في الهند الصينية وما انجر عن ذلك من صدمة نفسية عنيفة، وزاده إعلان كل من تونس والمغرب، المقاومة المسلحة عليها.

1- الخيار الأمني والمسلح غير الكافي

أدرك قادة الاحتلال، السياسيون والعسكريون على حد سواء، بصرف النظر عن مواقعهم ومستوياتهم، أن الاعتماد على الحل العسكري كخيار أوحد لتطويق وخنق الثورة، على طريق القضاء المبرم عليها، يعد خيارا ضروريا و أساسيا، بالنظر إلى النتائج التي يحققها في الميدان. بيد أنه يبقى غير كاف، ومن ثمة بات من الضروري البحث عن خيارات أخرى مكملّة ومدعمة في ذات الوقت للخيار العسكري، خاصة وأن المسؤولين العسكريين أضحو يرون باستمرار ويلمسون بصدق، التطور النوعي و المشهود للثورة، الذي شمل مختلف المناطق التي تم تحديدها من قبل مضجري ثورة نوفمبر، حيث أنه غطت العمليات الفدائية و العسكرية والكمائن والمعارك كافة أرجاء الجزائر الثائرة، مع اختلاف جلي من منطقة لأخرى، تبعا لاختلاف ظروف ومعطيات كل منطقة. فيما شمل الامتداد العمودي، مختلف الشرائح والأعمار التي تشكل المجتمع الجزائري، وذلك على الرغم من القمع الجماعي الذي سلط على الشعب، وبخاصة في منطقة الأوراس، في البداية نتيجة شدة وقوة الثورة بها، فضلا عن التعزيزات العسكرية الكبيرة التي أضحت تصل إلى الجزائر تباعا، من مختلف الوحدات العسكرية، بعد أن ألحت القيادة العسكرية في الطلب، بل و أصرت على وجوب الإسراع في تحقيق ذلك، ربعا للوقت وقطعا للطريق على جبهة وجيش

إن هذا الأسلوب الجديد الذي جنحت إليه الإدارة الاستعمارية الفرنسية، لم يكن وليد الصدفة أو عملا ارتجاليا مقطوع الجذور، أملت الظروف الصعبة التي أوجدتها الثورة وما أفرزته من واقع صعب، شكّل مازقا حقيقيا للعدو الفرنسي، بل له جذور في عمق تاريخ الاحتلال الذي وظّف كافة طاقاته و مختلف إمكاناته المادية، البشرية، العلمية والعسكرية، في سياق عمل متكامل، لكسر شوكة المقاومة الشعبية من خلال ضرب قوة الإيمان بضرورة تحدي ومواجهة الاحتلال، على الرغم من انعدام التوازن البشري واللوجستيكي بين قوات الاحتلال الفرنسي من جهة والمقاومة الشعبية الجزائرية من جهة أخرى. ذلك أنها تعود إلى المكاتب العربية التي أنشئت خلال الفترة الممتدة من 1833 و 1870⁽¹²⁾.

وقد حمل تصريح للوزير المقيم روبير لاكوست، حول مهمة قوات الاحتلال الفرنسي في الجزائر والتي لم تخرج قط عن مجال القمع بكل أشكاله وأشكاله، إشارة إلى التوجه الجديد المزمع اعتماده في التعامل مع الثورة الجزائرية، بقوله: "إن مهمتنا هي إعادة النظام و السلم، بيد أن هذا لا يكون ضد الشعب المسلم، و لكن من أجله و معه..."⁽¹³⁾ ومنه يتجلى بشكل بارز، التغير الحاصل في آليات الخطاب الاحتلالي ودلالاته، بغرض إحداث التأثير السيكولوجي على مجاهدي جيش التحرير، فضلا عن الشعب، بصرف النظر عن قوته وعمقه و درجته و امتداده، كهدف عاجل، واستيعاب و توظيف العناصر المتأثرة في مشروع الثورة المضادة كهدف أجل، يبنّي عل بعدين رئيسيين متكاملين، يتحرك الأول من خلال إطار زمن الثورة، فيما يتحرك الثاني من خلال الإطار الزمني لما بعد الثورة، رغبة في الانتقام من الثورة التي سفّحت أحلامهم وحطمت كبرياءهم .

3- مؤسسات الحرب النفسية

إن الحرب النفسية التي شنت على الجزائر لم تكن عملا ارتجاليا أو وليد الصدفة بقدر ما كانت عملا مؤسساتيا، انطلق من قراءة واقعية للواقع الذي أضحت تعيشه القيادة العسكرية الفرنسية من جهة، ودولة الاحتلال من جهة أخرى، نتيجة قوة وشدة الثورة التي باتت أكثر انتشارا و تأثيرا في الداخل و الخارج على حد سواء. بل إن تأثيرها امتد ليمس الرأي العام الفرنسي الذي كان في البداية مشدودا إلى المصادر الفرنسية الرسمية، لاستقاء الخبر ذي الصلة بحقيقة الواقع في الجزائر ولكن مع بروز الوسائط الإعلامية المتنوعة للثورة بالتوازي مع قوة ضربات الثورة في الداخل، أصبح الإقبال على مصادر الثورة يزداد باستمرار، لمعرفة الحقيقة من مصادرها الأصلية .

لقد ساند الكثير من الفرنسيين في بداية الثورة، الإدارة الاستعمارية في قمعها وحربها و إبادتها للشعب الجزائري نتيجة للحصار الإعلامي المضروب على الرأي العام الذي كان أسيرا للخطاب الإعلامي لإدارة الاحتلال التي توخت تزييف الوعي لتحقيق استمرارية الاحتلال في الزمان و المكان. بيد أن

و أثبتت فعاليتها في الميدان مع مرور الوقت. حيث تمثّلت تلك الطرق بناء على رأي بارلانج، في الفصائل الإدارية المتخصصة "Sections administratives spécialisées" التي تتوزع وتنتشر على مستوى القرى و المداشر، أي أنها ريفية الطابع، فيما تتوزع الفصائل الإدارية الحضرية "Sections administratives urbaines" على مستوى المدن⁽⁸⁾.

وقد رُوعي في اختيار هذين النوعين من الفصائل، معطيات و خصوصيات، بل ومتطلبات الريف و المدينة على حد سواء، رغبة في إنجاح المهمة على نحو أشمل و أكمل، دونما استعجال للنتائج التي لا شك و أنه تلمس في الميدان، عاجلا أم آجلا، إدراكا منهم أن الحرب النفسية ذات تأثير حقيقي ولكن بشكل متدرج، ومن شأنها أن تعزل الشعب عن الثورة، فتحدث بالتالي القطيعة الجذرية ومن ثمة فإنه لا مناص من الصبر على طريق تطويق و خنق الثورة، بل والسعي إلى تضجيرها من الداخل، كهدف أسمى يتوخى من طرف سياسي و عسكري الاحتلال الفرنسي منذ أمد بعيد، لمواجهة الثورة الأخذة في التطور والامتداد باستمرار. وقد ارتفع عدد الفصائل الإدارية المتخصصة (صا ص) باضطراد من 160 فصيلة إدارية في بداية 1956 إلى 568 في نوفمبر 1957 و 679 في نهاية 1958⁽⁹⁾.

2- ضبط مفهوم الحرب النفسية

تنضوي الحرب النفسية ضمن تخصص علم النفس الاجتماعي، وعلم النفس العسكري، على حد سواء، وهي تعني استخدام الدعاية و الإشاعة والأساليب البسيكولوجية الأخرى بغرض التأثير على نفسية و معنويات العدو وإحداث مشاعر معينة بين الجماهير بغرض زعزعة ثقتها بنفسها وبقادتها و معتقداتها، وحتى بتاريخها و هويتها وكذا تفتيت عزيمتها و إضعاف إرادتها وإيجاد انشقاقات بينها مما يشغلها عن قضيتها الأساسية ويسهل بالتالي الانقضاض عليها وإخضاعها لإرادته دون مقاومة⁽¹⁰⁾.

تعتبر الحرب النفسية جزءا من الحرب الشاملة، لا لشيء إلا لأنها تُشن قبل الحرب و أثناءها و بعدها، كما أن آثارها السلبية قد تظهر على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد، إلى جانب كونها أكثر شمولية و أوسع نطاقا، لأنها تستهدف المقاتلين من جهة، والشعب من جهة ثانية، وفي ذات الوقت بغرض إحداث التأثير المطلوب و المرجو، فضلا عن أنها لا تقوم على المواجهة المباشرة مع القوات محل الحرب، مثلما عليه الشأن في المعارك العسكرية ولكنها تنجح إلى اعتماد طرائق و أساليب ملتوية، أشد إغراء و جذبا.

ومن هذا المنطلق، فإن الحرب تقوم على الدعاية والإشاعة، باعتبارهما أهم وأنجع آليات الحرب النفسية وتستهدفان زرع اليأس و تعميق الإحباط في النفوس من إمكانية تحقيق النصر على قوات العدو، والدفع باتجاه خيار الاستسلام⁽¹¹⁾.

للعمل النفسي¹⁶ موجب القرار الوزاري المؤرخ في الفاتح مارس 1955⁽¹⁶⁾. وقد ذهب هنري دسكومبان (Henry Descombin) في تحديد مفهوم المكتب الخامس، إلى القول: "إن المكتب الخامس للعمل النفسي، مؤسسة نوعية لحرب الجزائر..."⁽¹⁷⁾

إن السرعة الكبيرة التي كانت وراء إنشاء المكتب، تعكس بجلاء، عمق وتجذر الرغبة في إدامة الاحتلال واستغلال كافة الطرق والوسائل للحفاظ على "الجزائر الفرنسية". ولذا فإن المكتب الخامس شرع في العمل ابتداء من شهر جويلية 1955، وقد ضبطت مهمته ضبطاً دقيقاً، حيث تمثلت في التكوين و الإعلام وكذا دعم وحدات الحفاظ على النظام العام، فضلاً عن الاضطلاع بعمل سيكولوجي يستهدف الشعب من جهة، و"الخارجين عن القانون" من جهة ثانية.⁽¹⁸⁾

ولتبيان أهداف و أبعاد العمل النفسي مضى الوزير المقيم، روبير لاكوست يقول في 2 جويلية 1956 أمام المجلس الوطني الفرنسي: "إن عمل التهذئة ليس عمل غزو عسكري مادي يكون بمنأى عن الأمن الذي يبحث عنه... إن العمل النفسي يتوخى جذب النفوس والقلوب وتحضير اتفاقات المستقبل. ذلك أننا نريد إنجاز جزائر جديدة، جزائر في الإطار الفرنسي..."⁽¹⁹⁾

إن القراءة التفكيكية الأولى لما ذهب إليه لاكوست، تجعلنا نقف على حقيقتين أو مستويين رئيسيين، تركز عليهما إستراتيجية إدارة الاحتلال، حيث يتمثل الأول في أن العمل العسكري يتوخى تحقيق "التهذئة" لذا فهو يركز على إعادة تثبيت الأمن، وعليه فهو غير كاف، ولذا يجب أن يكمل على الفور -وهو ما عكسته السرعة في إنشاء المكتب الخامس- بعمل سيكولوجي يمثل المستوى الثاني، حيث ينبني على إيجاد مناخ مناسب وأرضية ملائمة لتطبيق الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والتي لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تحقق نتائج حقيقية وإيجابية تتماشى و مستوى الجهود المبذولة والآمال المعقودة، إلا في ظل وجود شعب منحاز وموال لإدارة الاحتلال.⁽²⁰⁾

2.4 الفصائل الإدارية المتخصصة

(les sections administratives spécialisées)

في الحقيقة لم تكن هذه الفصائل، إنجازاً جديداً، فهي وإن كانت مكملية للمكتب الخامس فإنها امتداد للمكاتب العربية التي أسلفنا ذكرها، حيث أنها تختلف عنها فقط في مسألة الاختصاصات التي صارت أكثر توسعاً من ذي قبل، فضلاً عن الوسائل والإمكانات اللازمة التي وضعت في خدمة القائمين على إدارة و تسيير شؤون هذه الفصائل، رغبة في تحقيق الأهداف الملقاة على عاتقها، ذلك أنها ليست بالأمر اليسير.

وفي هذا الصدد، أكد روبير لاكوست: "إن الفصائل الإدارية المتخصصة -S.A.S- التي أنشئت، هي استمرار لتقاليد المكاتب العربية..."⁽²¹⁾. وعلى هذا الأساس ورغبة في تحقيق الاستمرارية والذهاب إلى أبعد نطاق، في الاستفادة من ذوي الاختصاص

الموقف طرأت عليه تغيرات كثيرة وكبيرة نتيجة قوة الثورة وتطورها، وكذا صداها على المستوى القاري والعالمي، فضلاً عن الموقف السياسي الذي تبنته أطراف من النخبة الفرنسية لصالح العمل من أجل إيقاف إراقة الدماء، وكان على رأس هؤلاء "جون بول سارتر" و"أندري ماندوز" و كذا "روبير بارا"⁽¹⁴⁾ ولقد مست تلك التغيرات النظرة إلى الثورة وكذا استقلال الجزائر.

وحفاظاً على مكانة فرنسا قارياً ودولياً، ورغبة في توجيه القرار السياسي الوجهة التي تتماشى والمصالح الإستراتيجية لفرنسا كقوة، أجرى المعهد الفرنسي للرأي العام سبراً للآراء، خلال الفترة الممتدة من 25 جويلية 1958 و 8 أوت من السنة ذاتها. ويبدو أن جريدة لوموند Le Monde من خلال إقدامها على نشر نتائج عملية السبر، توخت التهيئة النفسية للفرنسيين على اختلاف مستوياتهم ومشاربهم لاستقلال الجزائر، الذي أضحى حتمية وقريباً جداً بعد التطور المشهود الذي عرفته الثورة، رغم الكثير من الصعاب، غير أن الجريدة لم تفصح إطلاقاً عن تلك الحقيقة، وعلى غرار ذلك، فإن الأسئلة المطروحة في عملية السبر عكست بجلاء النظرة الاستعمارية للثورة الرامية إلى إخفاء و كتم الحقائق عن الرأي العام، تجنباً لكل اضطراب من شأنه أن يزيد من حدة الأزمة التي باتت تعيشها منذ اندلاع الثورة، وقد دارت الأسئلة التي شكلت محور السبر العام، حول الآتي:

- البعض يعتقد أنه ينبغي إعطاء الاستقلال للجزائر آجلاً أم عاجلاً. هل أنتم موافقون أم لا حول الطريق التي ينظر بها إلى الأشياء؟

- البعض يعتقد وجوب إدماج الجزائر بفرنسا، أي بمعنى أن يصير الـ 9 مليون مسلم جزائري يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها فرنسيو الوطن الأم؟

وقد أسفرت نتائج السبر على ما يلي:

- 52% من الفرنسيين يعتقدون أن إدماج الجزائر بفرنسا شيء مقبول.

- 41% يؤمنون بضرورة إعطاء الاستقلال للجزائر عاجلاً أم آجلاً⁽¹⁵⁾.

لقد شهدت فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، بروز مؤسستين اضطلعتا بمهمة الحرب النفسية وكلها ثقة و أمل في استقطاب قسم من الجزائريين وتوظيفهم في مشاريع مضادة للثورة. وقد اجتمعت المؤسستان حول الأهداف واختلفتا في الوسائل والتسمية، كما جمعتهما إطار زمني واحد، هو سنة 1955، مع اختلاف في الشهور، ويبرزان من خلال الآتي:

1.4 المكتب الخامس

بعد فترة وجيزة من اندلاع الثورة وانبعثت حركة التحرير، لا تتجاوز الخمسة أشهر، تعززت قيادة أركان الناحية العسكرية العاشرة بمؤسسة أو تنظيم جديد عرف باسم المكتب الجهوي

بمنأى عن الشعب الذي يُعد معطى أساسيا، بل واستراتيجيا في تغيير ميزان القوة في الميدان.

لقد أولت الإدارة الاستعمارية الفصائل الإدارية المتخصصة أهمية قصوى، وعلقت عليها آمالا كبيرة، وكيف لا يكون ذلك، وقد أقنعت نفسها بأن الحل النهائي للمأزق العميق الذي حُشرت فيه إدارة الاحتلال إنما يتأتى من خلال هذه الفصائل. وقد عكس هذا التوجه، روبر لاكوست، في رسالته له مؤرخة في 28 مارس 1956، لهذه الفصائل حيث طفق في ضوئها، يشحن العزائم وداعيا رؤساءها بقوله: "أريد أن أخطركم أنني أعلق أهمية على نجاحكم في مهمتكم... إن فرنسا قررت أن تضرب من غير ضعف، المتهمين بالتمرد، بيد أنها تواصل قيادة الشعب الجزائري، باتجاه مستقبل أفضل، يوما بعد يوم... هذا وإن تهدئة الجزائر، هي هدف الحكومة..."⁽²⁵⁾.

وحتى تكون تلك الفصائل قريبة من السكان، وصل الأمر ببعض الرؤساء حدّ تعلم اللغة العربية، حيث أضحوا يتكلمونها بطلاقة ويتصلون بالسكان ببسر، دون الحاجة إلى مترجم. وإلى جانب اللغة العربية، فقد كانوا يتكلمون سائر اللهجات المنتشرة عبر مختلف مناطق الجزائر⁽²⁶⁾. ولهذا الغرض، كان الاحتكاك بالشعب مباشرة، يوميا و مستمرا، فضلا عن السعي الدائم قصد تميّنه و تطويره، إدراكا منهم للنتائج الإيجابية الكبيرة لهذا التعاطي الهادف والفاعل والذي لا يمكن أن يؤتي أكله بعد حين، إلا باعتماد وسائل الترغيب والإغراء الأشد وقعا وتأثيرا على النفس، وهو ما يعكس خطورة المهمة الملقة على رئيس -الصاص- الذي ارتكز عمله على أبعاد رئيسية، فهو ممثل للإدارة المركزية، حيث أنه ينسق ويوجه النشاطات الإدارية المختلفة، ممثلة في الزراعة، الصحة، مدّ الجسور وشقّ وتعبيد الطرق، فضلا عن الإشراف على البريد، حسب احتياجات السكان ضمن نطاق اختصاصه. حيث أن الفصائل الإدارية خاضعة للاختصاص الإقليمي. كما أنه يدعم ويشير على القضاة المحليين، إلى جانب كونه مستشارا تقنيا. وعليه فإن العمل السيكولوجي لرئيس الفصائل الإدارية، يأخذ صورا وأشكالا عدة، بيد أن الجزء الهام من نشاطه يُكرس لتعزيز المجال الاقتصادي والاجتماعي و السهر على مراقبة إنجاز الأشغال ذات النفع العام، نظرا لما تنطوي عليه من تأثير مباشر على الشعب، ذلك أنه يُبصر عن كثر فعالية الأداء و نتائج العمل الذي يؤديه القائمون على الفصائل الإدارية.

4- وسائل الحرب النفسية

أخذت إدارة الاحتلال الفرنسي على نفسها الذهاب إلى أقصى نطاق في سياق السعي المحموم من أجل كسب رهان الحرب النفسية، التي أضحت حديث الساعة وقتذاك نتيجة للأمل الكبير الذي عُلق عليها في إمكانية إحداث القفزة النوعية، في عملية ضرب الثورة بعضها ببعض، من خلال الرغبة في الوصول إلى إحداث القطيعة الجذرية بين الشعب و الثورة من جهة والعمل على زعزعة صف الثورة من الداخل، على طريق

الخبرة في شؤون المكاتب العربية، فقد عُهد بمناصب المسؤولية والقيادة، للاضطلاع بتسيير شؤون هذه الفصائل، إلى قدماء الشؤون الأهلية، بعد إجراء تكوين في تليملي بالجزائر العاصمة من شأنه أن يسهل أداء مهمتهم. وقد ظهرت إلى الوجود بشكل رسمي و فعلي بالأوراس وقسنطينة، سنة ألف وتسعمائة وخمسة وخمسين، بموجب قرار مؤرخ في 25 سبتمبر 1955، ثم عمدت إدارة الاحتلال إلى تعميمها لتغطي كامل التراب الوطني في محاولة منها مسّ كافة السكان، من حيث تأطيرهم ومراقبتهم، ليلبلغ عددها السبعمئة.

وللإشارة، فإن رؤساء هذه الفصائل لم يكونوا كلهم من المجندين، حيث أكد العقيد هنري لومير HENRI LE MIRE أنه من أصل سبعمئة رئيس، -صاص- في سنة ألف وتسعمائة وتسعة وخمسين، كان عدد المجندين مائة وخمسين، فيما بلغ عدد الاحتياطين أربعمئة وخمسين⁽²²⁾.

إن الفصائل الإدارية هي هياكل إدارية مدنية وعسكرية في آن واحد، يقوم على إدارتها ضابط يشرف مباشرة على التنظيم والتوجيه والمتابعة المستمرة، فضلا عن أن كل -صاص- تضم حوالي ثلاثين حركيا يضطلعون بمهمة ضمان الأمن في حدود النطاق الإقليمي للفصائل الإدارية المتخصصة. وللإشارة، فإن للضابط المشرف على -الصاص- يساعده صف ضابط، يعينه على أداء مهامه، فضلا عن ملحقين مدنيين في اختصاصات متنوعة يتمثلون في الآتي: محاسب، جهاز إرسال وممرض، إلى جانب انتداب طبيب، معلم ومدرّب رياضي⁽²³⁾ وعليه فإن التعداد المدني والعسكري لهذه الفصائل، يختلف حسب احتياجات السكان والامتداد الإقليمي للفصائل الإدارية التي يفوق نطاقها الإقليمي أحيانا نطاق الولاية. ذلك أن فصيلة إدارية يمكن أن تغطي نطاقا ريفيا يضم من 2000 ألفين إلى 20000 عشرين ألف ساكن، يتوزعون على القرى أو يعيشون في مراكز التجمعات التي سيق إليها المدنيون زمرا، وقد ضربت عليهم الحراسة من كل جانب، بل وعُززت على نحو شديد، تصعب معه محاولات الفرار، إن لم نقل أنها غدت مستحيلة، وطوقت بالأسلاك الشائكة.

وقد ازداد تعسف وظلم إدارة الاحتلال الفرنسي للشعب الجزائري أكثر من ذي قبل، بعد القرار الذي أُتخذ سنة ألف وتسعمائة وخمسة وخمسين، والذي قضى بإعلان حالة الطوارئ⁽²⁴⁾، لتمكين قوات العدو الفرنسي من بسط وضمّان فرض الحفاظ على استتباب الأمن، من منظور إدارة الاحتلال والذي لا يخرج بالضرورة عن مجال القضاء على الثورة حيث شرع في تطبيق القرار التعسفي بالأوراس، فالونشريس، ثم وسع تطبيقه وعمم ليشمل ويغطي مجموع التراب الوطني. وقد أستغل الوضع في ظلّ هذا القرار، أبشع استغلال، لإنزال مختلف أشكال وصور العذاب على الشعب، حتى ينفذ عن الثورة، على نحو يكرس القطيعة الجذرية بينه وبين الثورة التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنحو منحى التطور والنمو والامتداد

الشعب بإدارة الاحتلال وكذا التعريف بإرادة فرنسا و رغبتها في الإصلاح والتغيير والتركيز على إنجازاتها الميدانية، أملا في التقريب بين الشعبين الجزائري والفرنسي وإزالة الكثير من الحواجز التي قد تحول دون تحقيق ذلك. وقد اضطلعت هذه المجموعات بمجال الدعاية لأجل الترغيب في الاحتلال، من خلال تشويه فكرة الثورة، على المستوى الفكري، حتى تسهل عملية محاربتها في الميدان.

وقد قامت دعائية مجموعات مكبرات الصوت على الدعاية المنطوقة والتي يقوم بها فرنسيون أو جزائريون⁽²⁸⁾ يتم اختيارهم من بين الذين آلوا على أنفسهم محاربة الثورة والوقوف في طريقها حجرة عثرة، باعتماد مختلف الوسائل والإمكانات، كما أن القائمين على هذه الدعاية كانوا يتوزعون بين العسكري والمدني، ويتم التركيز خلال العملية على إذاعة التصريحات و بث أنواع شتى من الموسيقى، إلى جانب الشعارات والأخبار المحلية الخاصة بكل منطقة على حدة، بغرض إطلاع الشعب و تقريبه من الواقع. في ظل المواجهات الدموية بين قوات الاحتلال ومجاهدي جيش التحرير، ودحض الدعاية الموازية لجبهة التحرير الوطني، سعيا للوصول إلى تعاون فعال من طرف الشعب.

وقد لعبت هذه المجموعات دورا كبيرا خلال معركة الجزائر، فيضي سعيها الحثيث إلى إفشال الإضراب المدرسي الذي دعت إليه جبهة التحرير الوطني، وحقق نجاحا كبيرا والتفافا صادقا، عكس عمق الالتحام الشعبي مع الثورة، وهو ما قض مضاجع إدارة الاحتلال. حيث شرعت مجموعات مكبرات الصوت في العمل لتقويض الإضراب، ابتداء من الرابع فيفري سنة ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين، وقد بدا ذلك جليا في صورة التركيز على إذاعة الشعارات، وتوزيع المنشورات الداعية إلى مقاطعة الإضراب، وعلى سبيل المثال، المنشورات الآتية:

"أيها الأمهات، أرسلن أبناءكن إلى المدرسة" ومنشورات تحمل صورة "أذهب إلى المدرسة"⁽²⁹⁾ وعلى غرار الدعاية المنطوقة، ركزت إدارة الاحتلال على الدعاية المرئية، بيد أنها لم تختلف كثيرا عن سالفاتها، إلا في اللوحات والصور الدعائية، التي كانت تعرض في القاعات، أو في الهواء الطلق. كما اعتمدت الدعاية المباشرة والقريبة من الشعب حيث ما انفكوا يوزعون الحلوى على الأطفال، وكذا السجائر والملابس على أفراد الشعب⁽³⁰⁾.

2.5 الفرق الطبية الاجتماعية القريبة (les équipes médico-sociales itinérantes)

تم إنشاء هذه الفرق، سنة ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين، حيث ضمت طبيبا مساعدة مسيحية، ومساعدتين مسلمتين، يعيشون وسط جنود الاحتلال. وقد ضببت مهمة هذه الفرق ضبطا دقيقا في إطار الحرب النفسية الشاملة ضد الثورة، حيث تمثلت في التركيز على النساء المسلمات الجزائريات، من خلال ضبط اتجاه الرأي العام النسوي الجزائري وإخاطر إدارة

إشغال فتيل التفجير الداخلي الذي شكل حلم السياسيين والعسكريين الفرنسيين، فضلا عن أعداء الثورة، من جهة أخرى. وفي ضوء ذلك، ورغبة في تجسيد أهداف وتحقيق مهمة ضباط الفصائل الإدارية - صاص - على نحو أشمل وبصورة أكمل، رصدت إمكانات مادية كبيرة، ما فتئت تنمو باضطراد بالتوازي مع امتداد وتوسع الثورة. ولهذا، فإن وسائل وآليات الحرب النفسية لم تكن على شكل واحد، طوال فترة الثورة، وإنما تنوعت وتعددت، تبعا لتنوع وتغير المعطيات التي تفرزها الثورة في الميدان، فضلا عن التجريب المستمر لتبدو فعاليتها وتأثيرها على الشعب أو على بعض عناصر جيش التحرير الوطني، وهو ما يحفز القائمين على توجيه وإدارة الحرب النفسية على الإبقاء عليها وتطويرها، بالتوازي مع تطوير مردودها.

وقد ذكر العقيد الحاج لخضر، في سياق حديثه عن وسائل العدو الفرنسي المستخدمة في مجال التأثير على الثورة أن: "الإغراءات المادية، كانت كثيرة، منها: فتح المدارس القصديرية بالأرياف و القرى وفي كل التجمعات السكانية، وذلك لاستقطاب أبناء المواطنين ومساعدتهم بالوسائل التعليمية وتقديم الأدوات المدرسية و الألبسة وتنظيم الرحلات لهم داخل الوطن وخارجه والذهاب بالبعث منهم إلى فرنسا، و تنشيط الحركة الرياضية، وذلك عن طريق تكوين فرق رياضية، خاصة في مجال كرة القدم، وكذلك فرق الأغاني في كل أنحاء الوطن، وإغداق الأموال على الخونة الذين انضموا إليه..."⁽²⁷⁾

وفي هذا الصدد، تجب الإشارة إلى أن وسائل أو أدوات الحرب النفسية تمثلت بالأساس في الآتي:

5.1 مجموعات مكبرات الصوت والمنشورات (compagnies des hauts parleurs et tracts)

تعد هذه المجموعات، على جانب كبير من الأهمية، حيث ظهرت إلى الوجود خلال شهر جوان من سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين، حيث بلغ عددها الثلاثة توزعت على الأقسام العسكرية الثلاثة (قسم وهران، قسم قسنطينة، وقسم الجزائر) وللإشارة، فإنها تابعة للمكتب الخامس. ورغبة في دفع أداها وتعزيز حركتها وتوسيع تأثيرها، عززت هذه المجموعات من طرف إدارة الاحتلال، بست ضباط، تسعة عشر صف ضابط، وستين جنديا مجندا، كما زودت بطائرة عمودية صوتية وطائرة مزودة بمكبر الصوت، لتسهيل عملية التغطية لمساحات كبيرة.

وقد توزع القائمون على إدارتها، على فصيلة قيادة، فصيلة للمعلومات، فصيلة للعمل واضطلعت بمهمة تنظيم جلسات العمل السيكلوجي، على اختلاف صور العملية، فضلا عن فصيلة اختصت بإعادة الإنتاج والنشر على نحو يمكن ويسهل على الإدارة الاستعمارية الفرنسية بسط نفوذها وإنجاز و تطبيق مشاريعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وعليه فقد ارتكزت مهمتها على العمل قصد بعث جو الثقة وسط

لقد لجأت الإدارة الاستعمارية الفرنسية، إلى التفكير فور انطلاق الثورة وبداية تجذر وتوسع منحها في إنشاء فرق الحركي، لمواجهة توسع وامتداد الثورة. وقد ركزت عليها كثيرا نظرا للأهمية الكبيرة للمقاومة على عاتق الحركي، من الناحية السيكلولوجية ذلك أنه ليس أشد على النفس، من أن يحمل السلاح ضد الثورة، صنف من الجزائريين ويقاقلون إلى جانب العدو، جنبا إلى جنب، بعزيمة كبيرة ورغبة وحب لا نظير لهما. باعتبار أنهم أكثر معرفة من قوات الاحتلال، بعناصر جبهة التحرير، ومجاهدي جيش التحرير الوطني، فضلا عن معرفة جغرافية حركة ونشاط الثورة بشكل دقيق. وفي هذا الصدد، يجب تحديد وضبط مصطلح الحركي، نظرا للاختلاف القائم حوله، وبخاصة من طرف الفرنسيين، الذين ينظرون إليه من زاوية مغايرة تماما للزاوية التي ننظر من خلالها للحركي، لاعتبارات كثيرة ومتعددة.

إن لفظ الحركي في المخيال الشعبي أو بالأحرى في الذاكرة الجماعية، يطلق على كل جزائري خائن، باع ذاته بعرض من الأعراض والتحق بصوف قوات الاحتلال الفرنسي، تحت أي شكل من الأشكال وآثرها على الثورة، "وغدا مساعدا على كشف عورات المجاهدين والمناضلين وملاحقة الوطنيين واضطهادهم أو قتلهم، كما كانوا يخرجون مع الجيش الاستعماري، في غاراته التي كان يشنها باستمرار على القرى والأرياف..."⁽³⁴⁾ بيد أن اللفظ في الاستعمال الفرنسي، بصرف النظر عن طبيعته، فإنه يذهب إلى خلاف ذلك، من حيث اعتباره: "مليشيات مسلحة إضافية في الجيش الفرنسي خلال حرب الجزائر"⁽³⁵⁾.

وذهب الجنرال سالان، في هذا الصدد إلى تقديم مفهوم للحركي انطلاقا من جانبها العضوي بقوله: "إن الحركي وحدة تضم مائة شخص، كلهم مسلمون، يتقاضون أجرا ويخضعون لقانون رسمي، كما أنه لهم الحق في حالة حدوث إصابات، في الإسعافات الاستعجالية وكذا في المنح المدنية المخصصة لضحايا الإرهاب. إن وحدة الحركي مرتبطة إجباريا بوحدة نظامية، حيث أنه يجب أن تكافح معها"⁽³⁶⁾.

وقد كان أول ظهور لفرق الحركي بالأوراس، وبناء على ما ذهب إليه بيير مونتانيون (Pierre Montagnon) فإن عدد الحركي، بلغ إلى غاية 1 جويلية 1955، 176 حركي بأريس، 200 حركي، بدوار أشمول، و70 حركيا بكيمل، فيما بلغ عدد عناصر وحدات الدفاع الذاتي 170 بأشمول، 30 بوادي تاكتة، 40 بكيمل⁽³⁷⁾. بغرض توفير الحماية اللازمة للقرى والمدن والمراكز التجميع التي أنشئت قصد عزل الشعب عن المجاهدين. ومع مرور سنوات الثورة و اتساع نطاقها وتنوع جبهاتها وازدياد رقعة مساندتها من مختلف الدول، وبخاصة بعد تأسيس الحكومة الجزائرية المؤقتة.

وفي ظل هذا الامتداد، كان لزاما على إدارة الاحتلال أن توسع مجال انضمام الحركي، بالنظر إلى النتائج التي مافتتوا يحققونها في الميدان، مما حدا بالجنرال سالان SALAN إلى

الاحتلال⁽³¹⁾ الفرنسي لاتخاذ ما يكون مناسباً من قرارات قادرة على صياغة عقلية المرأة الجزائرية صياغة جديدة تأخذ بعين الاعتبار معطى الاحتلال وما يستلزمه من مرونة فكرية تعتمد تجزئة وتفكيك فكرة الاحتلال، مع عرضها وفق منهج قائم على تغييب الوعي، وصولاً إلى التحييب والترغيب وأخرى عملية لإحداث التأثير المرجو.

3.5 المساعدة الطبية المجانية (Assistance médicale gratuite)

أنشئت هذه الفرق، في شهر جويلية سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين، وأُنيطت بها مهمة تقديم وتوفير المساعدات الطبية اللازمة والضرورية للشعب، سواء تعلق الأمر بالعلاج أو المتابعة الطبية، فضلا عن تقديم الدواء لكل حالة مرضية، على حدة. وقد تحمل هذه المسؤولية، أطباء عسكريون، منهم حوالي خمسين طبيبا من اللفياف الأجنبي، حيث عمل الكل تحت مسؤولية رئيس -الصاص- وقد بلغت الاستشارات المجانية التي قدمت في هذا الشأن، تسعة عشر ألف (19000) سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين، فيما بلغت سنة ألف وتسعمائة و تسعة وخمسين (1300.000) مليون وثلاثمائة ألف استشارة⁽³²⁾.

وقد بدت أهميتها وتجلت قيمتها في إمكانية إحداث التأثير المرغوب، وبخاصة في الوسط النسوي الجزائري بفضل الاحتكاك الدائم والمباشر به، فضلا عن محاولات إظهار الاعتناء الكبير والاهتمام الكافي بالحاجيات والضروريات، ذات الارتباط الوثيق بالمرأة.

4.5 الملحقات النسوية للشؤون الجزائرية (Attachées féminines des affaires Algériennes)

ثمة قواسم مشتركة بين الملحقات النسوية وفرق المساعدة الطبية، ذلك أن مهمة الملحقات تركزت بشكل أساسي على التأطير والتربية وتقديم الإسعافات الأولية لذوي الحاجة، في الزمان والمكان المناسبين. ويندرج عمل الملحقات في سياق العمل المدني، وهو ما أكدته القرار الصادر بتاريخ الثالث من شهر ديسمبر سنة ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين، والذي قضى بتعزيز وعميق العمل المدني باعتباره أساسا وذا قدرة على التأثير والاستيعاب، حيث توخى القرار تحقيق تلك الأهداف، من خلال الملحقات النسوية التي أخضعت لمسؤولية ضابط الفصائل الإدارية المتخصصة⁽³³⁾.

5.5 فرق الحركي بين المقاربتين الأمنية والنفسية

تنضوي عملية إنشاء فرق الحركي، ضمن سياق الحرب النفسية التي شنت بهدف تطويق الثورة وخنقها، حتى لا يمتد نطاقها باتجاه أفق أكثر سعة، بشريا وجغرافيا. وليس هناك أنسب لتحقيق ذلك، سوى فرق الخونة التي لم تخل منطقة من مناطق الجزائر منها، مع تباين في المستوى الكمي.

2- Pierre Montagnon .La guerre d'Algérie genese et engrenage dans la tragédie .éditions Gérard walet pygmaton .Paris.1984.p184.

3- لقد كان امتداد، وتطور الثورة الجزائرية، محل اهتمام كبير، ومتابعة مستمرة ودقيقة، من طرف قادة الاحتلال الفرنسي، رغبة منهم في إيجاد البدائل الكفيلة، بالقضاء على الثورة، على نحو شامل وكامل، وبأقصى الطرق. وقد تنوعت وتعددت في هذا الصدد، التقارير العسكرية الفرنسية، التي أماطت اللثام، عن حقيقة عدم جدوى وفاعلية، الإستراتيجية التي ارتكزت عليها إدارة على الاحتلال، والتي لم تتعدى نطاق الحشد العسكري، والقمع الجماعي، فضلا عن إرهاب الدولة، الخارق لقواعد وأحكام القانون الدولي الإنساني. وفي هذا السياق، نورد، تقريراً عسكرياً آخر، يدعم تقرير الجنرال بارلانج، للجنرال، نواري "Noiret" يكشف عمق وثقل الثورة، وكذا درجة ومستوى تأثيرها، محليا وإقليميا، وهو ما ألجأ القادة الغزاة، إلى دق ناقوس الخطر. حيث، ذكر، ما نصه: "إن التمرد، قد دخل مرحلة جديدة، حيث اتسع نشاطه وأضحى يغطي مجموع البلاد -الجزائر- وأن قوات وحدات المسلمين الفرنسيين قد فقدت قيمتها، وأن معنويات الجيش قد انخفضت بشكل محسوس... بيد أن هناك تطورا وحيدا، سجل فيالميدان، تمثل في الدعم الجوي، الذي توفره، الطائرات الاستكشافية، وكذا العمودية....". للاستزادة، حول مسألة تطور وامتداد الثورة الجزائرية، أنظر:

- جمال قندل، خطا موريس وشال على الحدود الجزائرية التونسية والغربية وتأثيراتها على الثورة الجزائرية، دار الضياء، الجزائر، 2006، ص 14-15.

4- SHAT , 1H1375 .rapport Parllange .op.cit.

5- Pierre Montagnon .op.cit.p 161.

6- Ibid .

7- 1H1117 .dossier n°1 Bilan de désertion.

8- Jean Garniage .Histoire contemporaine du Maghreb de 1830à nos jours .éditions Fayard.France .1994.p 890.

9- Annie Rey .la frontière Algéro-Tunisienne pendant la guerre d'Algérie dans les archives militaires de Vincenne(travail de recherche d'actylographié .sans date) p14 .

10- عبد الحفيظ مقدم، "الحرب النفسية والاستعمار الفرنسي للجزائر"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد العاشر، 1997، ص 145 .

11- نفسه، ص 147.

12- Gregor Mathias.les sections administratives spécialisées en Algerie entre idéal et réalité (1955-1962) .l'harmattan .France .1998.pp.14.16.

13- Ibid.

14- دحو ولد قابلية "اتفاقيات إيفيان الاتصالات، المحادثات والمفاوضات إبان ثورة التحرير الوطني (1954-1962)

15- Le Monde n°44223.du 02.08.1958.

16- SHAT .introduction à l'étude des archives de la guerre d'Algérie .château de Vincenne .Paris .1994.p.195.

17- Henrie Descombin . guerre d'Algerie 1955-1960 .le cinquième bureau l'harmattan . France .1994 .p 28..

18- SHAT .op .cit.p.198.

19- Ibid.p197.

20- Ibid.

21- Gregor Mathias .op.cit.p21.

22- Henrie Lemire .Histoire militaire de La guerre d'Algérie .Albin Michel .Paris 1982.p 129.

23- Ibid.p133.

24- Mahfoud Kaddache.et L'Algerie se libbéra .Paris méditerranée .Edif200. Alger. 2003 .p31.

إن قانون الثالث أفريل لسنة 1955، المنشئ لحالة الطوارئ، التي شرع في تطبيقها، ميدانيا، ارتكزت على ثلاثة أسس: حيث تمثل الأول، في منع تنقل الأشخاص أو السيارات، في الأماكن والأوقات المحددة بموجب قرار من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي. فيما تمثل الثاني، في إنشاء مناطق حماية ومؤمنة، بموجب قرار كذلك

الثناء عليهم، تقديرا وتثميناً لدورهم الخياني المؤدى بكل تضان وإخلاص يبدو أنه لم يكن ينتظره ولا يتوقعه، بقوله: "إن الحركى هم أول من يدخل عند القيام بمراقبة أي دوار، كما أنهم يسهلون الاتصال مع الشعب. أما في المعارك، فإنهم يظهرون شجاعة كبيرة. وعليه فإن استخدامهم كان إيجابيا بشكل كبير...." (38).

وفي هذا السياق، ذهب ميشال روميل Michel roux، إلى القول أن عدد الحركى بلغ سنة 1960، مائة وثمانية وخمسين ألف، (158000) (39) فيما ذهب محمد حربي إلى القول بخلاف ذلك تماما، حيث أكد أن عددهم بلغ مائة وستين ألف (160000) (40). وقد عملت إدارة الاحتلال منذ البداية على استغلال و توظيف هذه الفرق في المواجهات الدموية مع مجاهدي جيش التحرير، من حيث مراقبة وتتبع أثر كل من بدا عليه أنه ذو علاقة بصرف النظر عن طبيعتها، مدنية أو عسكرية مع جبهة أو جيش التحرير وإخبار قوات الاحتلال فور الحصول على المعلومة، لاستغلالها في الوقت و المكان المناسبين، فضلا عن استخدام الحركى في عمليات التمشيط لمختلف القرى والمداشر، بل وحتى الجبال لمعرفتهم الجيدة بالطرق و المسالك، ما سهل منها وما صعب وما قصر منها وما بعد وكذا إشراكهم في المعارك و الكمائن، ليلا و نهارا، لصدرتهم على الصبر والتكيف مع مختلف الأوضاع والظروف، من غير إغفال لدورهم في تسهيل الترجمة لقوات الاحتلال، بل والمشاركة أيضا في عمليات الاستنطاق والتعذيب، وهو ما تفننوا فيه كثيرا وأبدعوا، دون أن تأخذهم بالمجاهدين رافة. لقد كانوا مع بني جلدتهم غلاظا شدادا، ولم يرقبوا فيهم إلا و لا ذمّة.

و الجدير بالإشارة، أن إدارة الاحتلال الفرنسي عندما أبصرت عمق إخلاص الحركى لها، ومستوى ولائهم لفرنسا، مقابل شدة بأسهم على الثورة و المجاهدين، بل والشعب أيضا ذلك أنه لم يسلم هو الآخر من سبهم واحتقارهم وهمزهم ولزهم، قصد التأثير على معنوياته وزعزعة قناعاته بشرعية وعدالة وصدق الثورة. ولعل ما يعكس ويعزز هذه الحقيقة، ما ذهب إليه كبير الخونة، في الجزائر، بوعلام بشاغا الذي طفق يلقي باللائمة على سلطات الاحتلال الفرنسي، بسبب تأخرها في طرح فكرة إنشاء فرق الحركى. حيث عبر عن ذلك بقوله قوله: "... حيث مرت السنوات 1954، 1955، و1956، غير أنه لم يُوجه إلينا النداء. ذلك أنه لو وجه النداء منذ الساعات الأولى للمسلمين لقامت جميع القرى بتعيين مسؤولين عنها للقيام بالاتصال مع الجيش الفرنسي وتقديم معلومات دقيقة وصحيحة عن التجمعات التي تعقد وهو ما يجعل عمل الجيش فاعلا وسريعا....." (41).

الهوامش

لقد توزع الـ 85000 عسكري، على النحو التالي: سبعة عشر ألفا وجهوا لقيادة الأركان، ومصالحها، سبعة وعشرون ألفا كلفوا بضمان الحراسة والمراقبة، فيما وجه أربعة عشر ألف لمكافحة مجاهدي جيش التحرير: SHAT.introduction à l'étude des archives de la guerre

.1971.p79.

37- Pierre Montagnon la guerre d'Algérie Genèse et engrenage d'une tragédie. éditions pyramalion/Gérard watelet. Paris 1984.p154.

38- Raoul Salan .op cit .p80.

قندل (جمال): "الحركة خلال ثورة التحرير بين الطموحات العاجلة و الأهداف الإستراتيجية الأجلية"، النبا، عدد 295، الثلاثاء من 2 إلى 10 مارس 1998، ص 12.

39- Michel Roux .les harkis les oubliés de l'histoire 1954-1991 p 140.

40- Mohamed Harbi .les archives de la révolution Algerienne.France .édition .jeune Afrique. 1980.p 208.

41- Bachagha Boualem.Oh mon pays la France.(Paris1973) EL 8.Z.15 .p 44.

وعلى غرار الحركة، أنشأت إدارة الاحتلال مجموعات الدفاع الذاتي (groupes d'auto défense) حيث تم تزويد أفرادها ببنادق صيد، قصد الاضطلاع بمهمة الدفاع عن القرى، حال مهاجمتها من طرف مجاهدي جيش التحرير الوطني، وقد بلغ عددها ستين ألف، فيما بلغ عدد المجموعات المتنقلة لحماية الريف (groupes mobiles de la protection rurale) عشرة آلاف، فضلا عن القوميات (Goumiers).

القومية هي مصطلح يطلق على فرق أو مجموعات، أنشأها الاحتلال الفرنسي خلال ثورة التحرير، على غرار فرق الحركة و الدفاع الذاتي، لمحاربة مجاهدي جيش التحرير الوطني، وتتبع أثر مناضلي جبهة التحرير و العمل على رصد حركة كل من يشتبه في تعاونه مع الثورة. و يذهب عاشور شريف إلى القول: "أن لفظة القومية أصبحت مرادفة للحركيين خلال حرب التحرير الوطني". أنظر: عاشور شريف، قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة عالم مختار، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 278.

، حيث حركة أفراد الشعب الجزائري، فيها مقننة و مضبوطة. أما الأساس الثالث، فقد تمثل في منع تنقل الأشخاص في كل، أو بعض المناطق. وقد استند هذا القرار التعسفي، الجائر، إلى المادة 14 من القانون الصادر في 11 جويلية سنة 1938، والمتعلق بتنظيم أحوال وشؤون الأمة في حالة الحرب. وعلى هذا الأساس، تقدمت الحكومة الفرنسية في ظل امتداد الثورة، وتوسع مجال الإقبال الشعبي، عليها، بمشروع قانون، أمام الجمعية الوطنية الفرنسية. للاستزادة، أنظر: Denis et Robert Barrat . Algérie 1956 livre blanc sur la :répression .édition Barzakh .Alger .2001 .p 17,19.

25- Henrie Lemire .op cit .p 130

26- Ibid.p 31.

27- لطاهر حليس، قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، شركة الشهاب، الجزائر (بدون تاريخ)، ص 165.

28- SHAT.introduction....op cit p 205.

- Bussiere Michel .radio et télévision au temps des évènements d'Algérie 1954-1962. édition harmathan Paris. 1999.p 408.

29- SHAT .introduction....op.cit.p206.

30- Ibid.

31- SHAT 1H2461 .dossier n°01 « centres sociaux E.M.S.I ».

32- SHAT .introduction....op cit.p 219.

33- Ibid.

34- عبد المالك مرتاض، دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية -1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2001، ص 43.

35- Universalise version 10.

- Encarta

36- Raoul Salan .mémoire fin d'un empire presse de la cité .Paris